

الصناعات في المدينة النبوية في العصر العباسي

د. سعيد بن عبدالله القحطاني *

الملخص:

يتناول البحث عدداً من الصناعات في المدينة النبوية في العصر العباسي لتوفر مقومات الصناعة في المدينة من مواد خام طبيعية، وأيدي عاملة مدربة ماهرة ذاعت معها شهرة بعض الصناعات كالصناعة الحديدية مثل: الدروع والسيوف والخناجروصناعة القناديل من النحاس أيضاً صناعة العطور، المجوهرات، الصناعات الجلدية، الخشبية، الخزفية والنسجية والتي تؤكد براعة وحرفية صناع أهل المدينة في مختلف الصناعات التي ركز عليها البحث، فقد أضافت هذه الصناعة للمدينة شهرة إلى جانب شهرتها الدينية كون فيها ثاني الحرمين الشريفين المسجد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام.

لقد أثبتت هذه الدراسة بأن الصناعة في المدينة في العصر العباسي كانت نشيطة ومزدهرة؛ لوجود المواد الخام، والأيدي الماهرة، فقد عمل في هذه الصناعات شريحة واسعة من سكان المدينة والمجاورين والوافدين، وكانت أسواقها تشهد رواجاً لتلك الصناعات. الكلمات المفتاحية: الصناعات، المدينة المنورة، العصر العباسي، المواد الخام.

* - أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك بقسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

Abstract:

This paper deals with a number of crafts and industries in Al-Madintul-Monawwarah in the Abbasid era thanks to the abundance of raw materials and trained and skilled labors. These industries gave Al-Madinah a reputation for some particular Crafts and industries such as iron smith (eg): armors, swords, daggers, Making copper Candles and also Also making perfumes, Jewels, leathergood, wooden and ceramic industries and textile goods. These Crafts prove the skills of the people of Al-Madinah in different industries that the paper focuses, this industry added a Fame to Al-Madinah in these craft could be added to its religious importance as the site of the second Shrine of Islam i.e. the second holy Mosque of prophet Mohammed(pbuh).

This paper proves that the industries in Al-Madinah during the Abbasid era were active and prosperous because of the abundance of raw materials, and skilled labours. A large segment of the inhabitants, neighbors and comers who worked in these crafts. The Markets of Al-Madinah witnessed a flourishing in the sales of these goods.

Key words:

Industries, Al-MadinatulMunawwarah, Abbasidera, raw materials.

مقدمة:

سنتناول في هذه الدراسة الصناعات في المدينة المنورة خلال العصر العباسي، ولذلك سنورد العديد من تلك الصناعات التي زاولها بعض سكان المدينة، حسب ما تسعفنا به المصادر من مادة علمية. لقد كان هناك عدة عوامل أدت إلى بروز دور هذه الصناعات والحرف، منها توفر المواد الخام بمختلف أنواعها الحيوانية والنباتية والمعدنية

والفخارية، فقد كانت تلك الصناعات مصدر كسب للعاملين فيها، مثل الدباغ والخرارز والصائغ والصفار، والحائك والنجار والخياط والحداد، والعمار، والزيت والحزار، والبناء والسمسار، فقد أشار لهم ابن حيان بقوله: "أصحاب الصناعات"¹ وورد ذكرهم أيضًا في مصادر أخرى باسم أهل الحرف والصنائع². لقد كانت الصناعات تؤدي دورًا مهمًا في حياة مجتمع المدينة، فهي تخدم جملة من النشاطات الرئيسية لمعيشتهم، ومجال خصب لتحقيق مكاسب اقتصادية منها، تواجه حاجاتهم اليومية، فكان يمتنهم الكثيرون من السكان، وكانت هذه الصناعات والحرف منتشرة في منطقة المدينة حاضرة وبادية.

ومن العوامل التي خدمت هذه الصناعات موقع ومكانة المدينة فهي تقع على الطريق التجاري الذي يربط شمال الجزيرة العربية بجنوبها مرورًا بعدد من القرى التابعة لها، ومنها تخرج شبكة للطرق التجارية، علاوة على مكانتها الدينية ففيها مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي يأتي لزيارته جموع غفيرة من الحجاج والزوار، فتندشط معهم الأسواق التجارية التي تعتمد على كثير من السلع والبضائع من إنتاج الحرفيين والصناع في المدينة. كذلك توفر الأيدي العاملة، حيث يستقر بها بعض الزوار والمجاورين من أهل الحرف الذين تتوفر لديهم مهارات صناعية فكانوا يستثمرون مهاراتهم في الصناعات والحرف المتاحة في منطقة المدينة وكانت لهم نقابات تنظم علاقتهم فيما يحقق التعاون بينهم والمحافظة على مهنتهم من الاندثار³.

لقد تنوعت الصناعات، وفي الغالب أنها كانت وراثية يتعلمها الأبناء من الآباء، وقد ينحصر بعضها في العائلة التي يتوارثها الابن عن والد⁴. واشتهرت المدينة بوجود كثير من الصناعات والحرف، والتي تعد مظهرًا من مظاهر الحياة الاقتصادية، ونتيجة لما تشهده المدينة من استقرار في معظم فترات

العصر العباسي، نمت معه اعداد السكان الذين يقطنون المدينة وقراها، أو من يفد عليها في مواسم العبادة، أثناء موسم الحج والعمرة، ومن ثم زيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فكانت الصناعات تعبيري ثقافي عن أصالة المجتمع المدني ووعيه الحضاري بقيم المهن والحرف والعمل في مختلف الصناعات اليدوية. ومن أبرز تلك الصناعات والحرف:

أولاً: الصناعات الحديدية

كانت صناعة الحديد أو ما يسمى بالحدادة متوفرة في المدينة والقرى التابعة لها في صدر الإسلام، بل وحتى قبل الإسلام، ويؤيد ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما فتح أرض خيبر في السنة السابعة للهجرة الموافق 628 للميلاد، سبى ثلاثين قيناً وكانوا صناعاً وحدادين، فقال عليه الصلاة والسلام: "تركوهم بين المسلمين ينتفعون بصناعتهم وينتفعون بهم على جهاد عدوهم، فتركوا فمن تعلم عليهم الصناعة سُمى صانعاً أو معلماً، ومن كان من أصلهم سبي مبيئاً، فصاروا يومئذ يلتجئون وينضوون إلى كبار الناس"⁵.

وفي العصر العباسي نشطت صناعة الحديد لمواجهة حاجة السكان فيما يخدم نشاطاتهم الأخرى التي تتطلب بعض الأدوات القائمة على الصناعة الحديدية، مثل الدروع والسيوف، والخناجر، والنبال، والسهام التي تستخدم في القتال⁶. ويبدو أن سهام المدينة اشتهرت على غيرها لما تتميز به من صناعة متقنة. وكان من الصناعات من تخصص في صناعة الأدوات الزراعية كالقووس والمساخي والمحاريث والمناجل لحرث الأرض وتقليبها، وقطع الأشجار وغيرها من الآلات التي تستخدم في أغراض الزراعة، وما يستخدم أيضاً في أدوات الدباغة مثل المحطّ والمجلاة التي تستخدم في إزالة أوساخ الجلود التي تتعلق بها بعد الذبح، والإزميل وما يسمى بالمنحاز، والإشفي لخرز الجلد، والمقراض⁷، وكذلك أدوات الصيد التي تصنع من الحديد مثل الفخاخ وإشراك المصيدة وهذه

الأدوات تستخدم في صيد البر والبحر، فقد كان بعض سكان المدينة وقراها يزاولون صيد الحيوانات والطيور البرية، وكذلك صيد الأسماك من بحر الجار، ومن تجمعات المياه في المناطق المنخفضة المحيطة بالمدينة، وكان يطلق على من يقوم بهذه المهنة الحوات.⁸

وكان من الصناعات من أتقن صناعة السيوف والخناجر وتفنن في زخرفتها وطلائها بالذهب أو الفضة، فارتفعت قيمتها وزاد الطلب عليها، ومثلها صناعة الدروع والرماح والأسنة والسكاكين، فقد كان كل فرد في ذلك العصر يملك سلاحاً على حسب قدرته المالية⁹ وكان الصانع يقومون بجلي الأسلحة وآخرون في صقل السيوف كما صنعت بعض الأدوات المنزلية من الحديد والنحاس والصفير، مثل المرجل الذي يستخدم لغلي الماء، والصحنون التي يقدم فيها الطعام، ومنها ما يستعمل في غسيل الأيدي المعروف بالطست، كما صنعت القدور النحاسية والتي تتجلى فيها دقة الصناعة، فقد كانت لها عراوي ليسهل حملها ونقلها من مكان لآخر.¹⁰

أيضاً قام الصانع بصناعة الأباريق مختلفة الأحجام، كما صنعوا القناديل من سبائك النحاس التي كانت تستعمل لإنارة المنازل والمساجد وفي الطرقات.¹¹

وكان أهل المدينة يستخدمون أيضاً الحديد في صناعة الأبواب والأقفال، والنوافذ وفي صناعة الشبابيك، يؤكد ذلك ما ذكره الحربي، عندما أشار إلى توسعة الخليفة المهدي للمسجد النبوي فقال: "وأمر بالمقصورة فهدمت وخفضوها في الأرض، وجعل عليها شباكاً من حديد في قبلة المسجد".¹²

وأشار أحد الباحثين بأن الحدادين كانوا يتولون صناعة كثير من المستلزمات والأدوات التي تخدم أصحاب الحرف الأخرى، كالمسامير والتي تستخدم من قبل النجارين وغيرهم، ومثلها السكاكين والخطافات التي تعلق

عليها الأشياء، والمقصات والمطارق وغير ذلك من أدوات المهن الأخرى¹³. كما كان الحدادون يصنعون القيود والسلاسل التي توضع في أيدي وأرجل المساجين، والحلقات التي تكون مصنعة على عدة قياسات وعلى شكل دائري توضع في يد السجين إلى عنقه وتسمى جامعة¹⁴.

وكانت معادن الحديد متوفرة في أحواز المدينة، وتشكل ثروة كانت مضرب المثل في ثراء بعض صناعات المدينة، فكان الحديد يستخرج من منجم الحَرَاصَة التي تقع بين الحوراء وشغب شمال ينبع النخل فكان يتوفر به معادن الحديد¹⁵. ومن المعادن غزيرة الإنتاج معدن القَبْلِيَّة الذي يقع من نواحي الفرع من المدينة في طرف السلسلة الجبلية الممتدة بين المدينة وينبع وهو في الجهة المقابلة للمدينة في الجبال المعروفة الآن باسم الفجرة أو الفقرة¹⁶.

وقد اشتهرت حرة بني سُليم¹⁷ التي تقع شمال المدينة بمعدن الحديد والذهب والفضة والرصاص، وكذلك يوجد في صرة النار الواقعة بين وادي القرى وتيما معدن البُورَق الذي من مشتقاته الحديد¹⁸.

وكان يعمل في حرفة الحدادة بعض العمال من العرب، وإن كان الموالي والعبيد أكثر احترافاً لها¹⁹. بالإضافة إلى الصناعات التي كانت ترسلهم الخلافة العباسية لعمارة المسجد أحياناً، ففي خلافة الناصر لدين الله عمر المسجد النبوي بواسطة الصنائع الذين أرسلهم من بغداد سنة 576هـ/1180م²⁰ وفي عام 655هـ/1257م، أرسل الخليفة المستعصم الصنائع والآلات لإصلاح ما لحق المسجد النبوي من خراب بسبب الحريق الذي تعرض له المسجد في هذه السنة²¹.

ثانياً: الصناعات الخشبية

وتأتي صناعة الخشب من الصناعات الهامة التي أشارت إليها المصادر،

حيث كانت صناعة النجارة توفر للمنازل الأبواب ومفاتيحها والشبابيك ومختلف أنواع الأثاث ومستلزمات الأكل مثل، الصناديق الخشبية لحفظ الحاجات النسائية الثمينة، والصحفة التي تستخدم لتقديم الطعام، والمكايل، مثل الصاع، والمد، ومشتقاته الأخرى، والمهراس الذي يستخدم في نظافة الحبوب وتقشيرها دون كسرها، ويصنع من الأخشاب ألواح أسقف المنازل²².

أيضاً تقوم الصناعات الخشبية بتوفير بعض مستلزمات الزراعة، كالمحالة وهي بكرة مصنوعة من الخشب، والدراجة التي على شكل أسطوانة خشبية يدور عليها حبال الدلاء ولها محورين، وكذلك صناعة الرجل الذي يوضع على ظهر الدابة السانية وعليه يثبت الرشا الذي يسحب القرب من الآبار، كما يصنع من الخشب المحراث وتقليبها والذي تجره الدابة التي تستخدم في الحراثة.

ويعمل النجارون من الخشب بعض أنواع السبح التي تتميز بصناعتها المدينة، وتحمل من ضمن الهدايا التي يحملها الزوار للمسجد النبوي عند عودتهم إلى ديارهم خارج المدينة²³. كما قام صناع المدينة بصناعة الهودج الخشبي الذي يوضع على ظهور الجمال²⁴.

وصنع النجارون أيضاً بعض الأدوات المنزلية مثل الأقداح التي تصنع من خشب الأثل²⁵. وصناعة أحواض السقاية وكراسي الخشب التي يتم طلاؤها بالأصباغ متعددة الألوان والتي تستخدم للجلوس، ويكثر استعمال هذه الكراسي لدى الأغنياء وفي الأماكن الرسمية²⁶. والصناديق الخشبية التي تستعمل لحفظ الكتب في المساجد والمنازل والأربطة²⁷. ومثل ذلك ألواح القراءة التي يتعلم عليها الصبيان القراءة والكتابة يصنعها النجار من الخشب، أيضاً اللوحات التذكارية والتي تزين بالمسامير وتكسى بالذهب والفضة في بعض

الأحيان، ويكتب عليها بعض الآيات القرآنية، والبسملة، كالتى زينت بهما أبواب المسجد النبوي واللوحات الإرشادية داخل المسجد²⁸. ومثل اللوحات التذكارية التى أمر بها السفاح (132-136هـ/749-753م) على باب المسجد النبوي من جهة خوخة أبي بكر الصديق رضي الله عنه²⁹، وكانت صناعة الأثاث فى المدينة فى العصر العباسي تقوم على الجريد³⁰ وكذلك على الخشب الذى يكثر تنوعه فى منطقة الغابة شمال المدينة³¹.

ومن الصناعات الخشبية أيضًا المجامر التى تصنع من خشب الساج³² وكذلك صنع من الأخشاب بعض أدوات القتال مثل السهام الرقميات³³ والتى كانت لها شهره لصلابة عودها، ومن أدوات القتال الأخرى التى كان النجارون يقومون بتصنيعها فى المدينة الدنشات³⁴ والقسي التى أشار لها السلي بأنها تصنع من شجر الشقب الذى يكثر نباته فى نواحي المدينة وقد اشتهر جبل قدس بهذا النبات³⁵. وقد استعمل النجارون الخشب فى طي الآبار، ومنه ما يصنع مقابض للمساحي وأدوات القطع، ونصل لبعض الأدوات المنزلية كالسكاكين والخناجر، ومنه ما أتخذ عصى (عصا) وغير ذلك من الأواني المنزلية والأدوات الزراعية³⁶.

ومما ساعد على قيام أعمال النجارة وصناعة الأخشاب توفر مواد الخام مثل أشجار الطرفاء حيث تكثر فى واحة الغابة الواقعة شمال غربى المدينة كما كانوا يستعملون أخشابًا من أشجار الطلح والأثل والشوحط الذى تصنع منه الأقواس، والسلم والسيال والعرفط، والسمر والشهين³⁷؛ إلى جانب جريد النخل الذى يستخدم فى سقوف البيوت والمساجد، واستخدموا من جذوع النخل أعمدة للمنازل لتسند عليها السقوف وكانت النخل من أفضل الأشجار فى المدينة³⁸.

وبالإضافة إلى مواد الخام التى تتوفر من خشب الأشجار الذى يكثر فى

ضواحي المدينة توفر النجارين الذين يعملون في الصناعات الخشبية فقد تفنن بعض هؤلاء النجارين في صناعة الأثاث والأواني وغيرها من الصناعات الخشبية وأبدعوا في زخرفتها وتشكيلها بأشكال هندسية جميلة، حتى فاقت صناعاتهم غيرها لجودتها، ولمتانة موادها الخام³⁹.

وكان النجارون يتداولون صناعاتهم في حوانيتهم التي تخصص لهم في أسواق المدينة ويبيعون إنتاجهم في تلك الأسواق، بينما كان بعض النجارين يزاولون أعمال النجارة في منازلهم، فيذكر أبو نعيم في حلية الأولياء، أن أحد الموالى من الفرس كان يصنع الأقداح في منزله في المدينة المنورة⁴⁰.

وقد كان صناع الخشب يعتنون برسوم الأشجار والطيور والحيوانات على بعض الصناعات الخشبية، فكانت في غاية الإبداع لروعة تصميمها، وكانوا يستوردون خشب الساج من الهند، ويستعملونه في تزيين بيوت الأغنياء⁴¹. وصنعوا منه نوافذ لطاقت المسجد النبوي بها كوى (فتحات) تسمح للهواء والإضاءة بالدخول لأروقة المسجد⁴².

وكان يشارك النجارين المحليين بعض النجارين المهرة الذين يقدمون من العراق ومصر والشام، ومن بلاد فارس وغيرهم من الأقطار الأخرى، لكي ينفذوا بعض الصناعات الخشبية الدقيقة مثل عمل قباب من خشب الساج، أو عمل سقوف وأبواب منازل الأثرياء⁴³. وكان للنجارين أدواتهم التي يستخدمونها في صناعة الخشب منها على سبيل المثال لا الحصر، المنشار، والمخراط الذي يجزبه النجار الخشب والقدوم وغيرها من أدوات النجارة التي تستخدم في تشكّل صناعة الأبواب والنوافذ، والأسقف، وبعض الأثاث المنزلي بحيث تحوز تلك الصناعات رضا المستهلك على مختلف الأذواق، لجودة مخرجاتها من قبل الصناع المهرة التي تشتهر بها المدينة.

ثالثا: الصناعات الجلدية

كانت صناعة الجلود في المدينة من الحرف المهمة في الفترة التي يعينها البحث، فكانت هذه الصناعة منتشرة في المدينة وضواحيها ساعد على ازدهارها عدة عوامل منها:

وفرة الحيوانات التي تشتهر بها منطقة المدينة، مثل الأبل التي يكثر تربيتها في الأراضي الصحراوية، والأغنام التي تكثر في المناطق الجبلية والسهلية، وكذلك البقر وغيرها من الحيوانات الأخرى التي يستفاد من جلدها، فكان سكان المدينة وقراها وكذا بواديها يهتمون بتربية واقتناء الحيوانات للاستفادة منها، في مختلف نشاطاتهم، وفي تنقلاتهم، وكمصدر من مصادر طعامهم مثل الألبان والسمن، واللحوم، وفي استخداماتهم الزراعية، فهذه الحيوانات كما يذكر أحد الباحثين: كانت لدعم معيشة السكان ومعونتهم⁴⁴.

فكان السكان ينتفعون بجلود الأنعام في مختلف الأغراض ويؤيد ذلك قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾⁴⁵.

فكانت الجلود تقوم عليها صناعات متعددة الأغراض، لا سيما في البوادي والمناطق الزراعية لملائمتها ظروف سكان البادية والزراعيين، وقبل أن أذكر الأدوات الجلدية التي اشتهرت بصناعتها المدينة من الجلد، سيتناول البحث أيضاً دباغة الجلود فهذه مرحلة مهمة تسبق صناعتها.

إن دباغة الجلود تقوم على توفر المواد التي تستخدم في الدباغة وقد اشتهرت منطقة المدينة بكثرة الأشجار والنباتات التي تستخدم في دباغة الجلد، وإزالة ما علق بالجلد من روائح وزوائد لحمية أو شحوم قد تؤدي إلى فساد، ومعالجته من الرطوبة، وتنظيفه من الشعر والصوف ثم معالجته بمادة الجير

والقرظ⁴⁶، وكذلك باستعمال الغلقة وهي نوع من أنواع الأعشاب بعدما يجفف لحائه وثمره يطحن ثم يمزج بالماء، وتنقع فيه الجلود فتتخلص من بقايا اللحوم وغيرها، وهذه الشجرة تكثر في الحجاز بصفة عامة⁴⁷. ومن النباتات التي تستخدم في دباغة الجلود الأُرطا والسماق، والنجب والقرنوة الذي يكثر في وادي الأبواء وهو من أعمال المدينة⁴⁸. وأوراق شجر العَرَف الذي ينبت بكثرة في بادية المدينة، وأشار له ابن منظور بقوله: "شجر يدبغ به"⁴⁹، وكان وادي العقيق بقرب المدينة يرد منه القَرظ الذي يستخدم أيضًا في دبغ الأدم وهو أجود ما تدبغ به الأُهب⁵⁰.

ومن الأشجار التي يدبغ بها الجلد شجرة العقلي، ومثلها نبات الصَرْف يدبغ به الأديم، وله صبغ أحمر⁵¹، وكذلك نبات الصَّدَح لونه أشد حمرة من العُنب، ويميل إلى السوار، كما وصفه الفيروزآبادي⁵². والفُؤَّة من النباتات التي يعالج بها الدَّبَاغ الجلود وكذا لحاء الطلح الذي يسمى النَجَب الذي يتوفر بكثرة في أودية المدينة وفي ظهيرها الزراعي فهو من منابت بطون الأودية⁵³. وأوراق السلم يدبغ بها في مدابغ المدينة وقراها، وهو يكثر في وادي برك⁵⁴. ومن الأعشاب التي تدبغ بها الجلود في المدينة نبات الدهنا الذي يكثر ذكره في ضواحي المدينة، وله لون أحمر، ويصبغ بأوراقه، وهناك أشجار ونبات أخرى غير التي أشرنا إليها أنفًا تستخدم في دباغة وصبغ الجلود على مختلف أنواعها.

إن المدينة من أبرز مدن الحجاز التي تكثر فيها مدابغ الأدم لمناسبة بيئتها الجغرافية، فهي لا تقل أهمية عن مدينة الطائف المشهورة بدباغة الجلود، لتأثرها كما تشير المصادر بطلوع نجم سهيل، كما ذكر ابن المجاور، إن الأماكن التي يظهر عليها نجم سهيل يصلح فيها دباغة الأدم، لملائمة المناخ الذي يساعد على نعومة وليونة الجلد⁵⁵، فالدباغة الهدف منها تقوية الجلد وجعله مرنا جاهزا للاستخدام من قبل الخزائين، فإذا كان لينًا فهو جيد، وأن خالف ذلك

فهو ليس جيد وذلك عن طريق تحريكه باليد⁵⁶.

وكان أصحاب المدايع يستعملون بعض الأدوات في الدباغة في مقدمتها المحطّ الذي يستخدمه الدباغون في دباغة الأدم وصقلة وتنميقة وهو في الغالب مصنوع من الخشب أو الحديد، واستعملوا كذلك المحلاة لقشر الأوساخ العالقة بالجلود بعد دبغها⁵⁷.

ويستخدم الخرازون بعض المعدات منها المنحاز، والأشفي⁵⁸، والمبقر، والمقراض، والمجبوب، لخياطة وصيانة الجلود بعد دبغها وبعد عملية الدباغة تأتي مرحلة الصباغة وتلوين بعض الجلود ببعض الأصباغ مثل اللون الأحمر والأصفر واللون البرتقالي والبني الفاتح من الحناء والذي يكثر نباته في المدينة وقراها⁵⁹. وتتعدد الألوان حسب حاجة السوق ورغبة المستهلكين وأذواقهم، وبعض هذه الألوان يستخرج من نباتات وثمار بعض الأشجار المتوفرة في المدينة وأريافها، والبعض الآخر يستورد من مناطق أخرى مثل النيلة التي تجلب من مناطق الهند⁶⁰. والورس والزعفران والعصفرفيتم جلبها من اليمن⁶¹.

ثم تأتي صناعة خرازة الجلود وتفصيلها في مرحلة تالية لصباغتها ودباغتها، وكان الخرازون يستخدمون الجلود ليصنعون منها النعال، والخفاف والسروج، والخيام والأواني الجلدية مثل، رواية الزيت ورواية المياه، والجراب لحفظ التمر والدلاء والقرب التي تستخدم لنقل المياه وبريدها في الصيف⁶². وقد أشار ابن بكار إلى الأوعية الجلدية التي تستعمل لكنز التمور في المدينة⁶³، ومن الصناعات الجلدية الأسقية التي استخدمت لحفظ اللبن والسمن والدهون والشحوم، وغيرها من السوائل الأخرى⁶⁴.

ويصنع من الجلود أيضًا بعض البيوت المتنقلة للسكنى بها لصالحيتها للظروف المناخية، حيث تحمي ساكنيها لفحات البرد، وملأمتها كذلك لحياة

البادية والفلاحين في أحواز المدينة، ووفرة الجلود المستخدمة لهذه الأغراض، والتي تتميز بجودة دباغتها، وصناعتها⁶⁵.

ومن الأغراض المصنوعة من الجلد العيبة، وهي وعاء كبير عادة يصنع من جلد الإبل أو البقر المدبوغ، وهذه يخزن فيها الحبوب والتمور، وتستخدم كذلك وعاء لنقل مختلف الأصناف من المواد الغذائية وغيرها على ظهور الإبل عندما يمدون للمناطق التي يتوفر فيها الثمر، مثل خيبر، وفدك ووادي القرى⁶⁶.

واشتهرت المدينة في العصر العباسي بصناعة النّسج وهي سُيْر يَضْفَر على هيئة أعنة نشد به الرّجال، وذكره ابن منظور فقال: "النسج هو سير مضافور يجعل زمامًا للبعير وقد تنسج عريضة تجعل على صدر البعير"⁶⁷.

ومن النسج ما يسمى البريم، وهو حبال من الجلد تفتل عدة خيوط من الجلد ويتمنطق بها الرجال والنساء فوق الملابس فوق الظهر⁶⁸. كانت صناعة الجلود من المهن التي يعمل بها بعض سكان المدينة الذين يتعاملون في دباغتها وصناعتها وتجاريتها، فقد كانت جلود المدينة تحمل إلى مختلف الأفاق لجودتها، فكانت تصدر إلى أسواق الجزيرة العربية، وإلى خارجها، إلى مصر والحبشة، وإلى الهند، وفارس وإلى ما وراء النهر، وبلاد الروم⁶⁹.

لهذا كانت صناعة الجلد قد أشغلت حيزًا كبيرًا من نشاط السكان التجاري، لما تتميز به على غيرها من إتقان صناعتها وجودة جلودها، وكفاءة المهنيين الذين يعملون في خرازة الجلد وصناعته، فكانت الخرازة من المهن المشهورة في المدينة وكان لأرباب هذه المهنة شيخ مسؤول عنهم عند عامل السوق من قبل السلطة، فقد كان للخرازين ناحية مخصصة في أسواق المدينة، حيث كانوا يبيعون إنتاجهم من ما يخرزوناه مثل المنتجات السالف ذكرها⁷⁰.

رابعاً: الصناعات الفخارية

كانت الصناعات الفخارية من المهن المشهورة في المدينة المنورة في العصر العباسي، وقد تميز الخزف الذي يصنع في المدينة بالجمال والروعة، فقد برع الصناع في صناعته على مختلف الأساليب وزخرفته بالنقوش والكتابات المختلفة⁷¹، وقد صنعوا من الخزف الصحن والأطباق والسلطانيات، بأشكال وأحجام متنوعة، كما صنعوا دوارق وأبريق وزهريات، وقدر كبير وصغيرة، وجرار للماء والأزيار، بالإضافة إلى صناعة التحف والخزف مثل المناضد والشماع⁷².

فكان المجتمع في المدينة النبوية وقراها يضم فئة من صناع أنية وأدوات من الفخار للأغراض المنزلية المختلفة الأشكال والأحجام والتي تتميز بدقة وجودة الصناعة، مما أدى إلى زيادة الطلب عليها لتطورها، فكانت تصدر ضمن صادرات المدينة التجارية على البلدان والحوضر المجاورة داخل الجزيرة العربية وخارجها، مثل الدوارق⁷³ الفخارية التي تصنع من تربة المدينة المتميزة بصلابتها وتماسكها⁷⁴. فكانت المدينة في العصر العباسي مشهورة بصناعة الأواني الفخارية والحجرية، فيروى الهمداني أن الأكواب والقدر كانت تصنع من الفخار⁷⁵.

وكانت قدر البُرْم تنحت من الحجارة المستخدمة من معدن البُرْم الواقع بين ضرية والمدينة، وهو من أعمال المدينة، وقد أشار ياقوت أنه يعرف باسم معدن أضاخ فقال: أضاخ سوق وبها بناء وجماعة ناس، وهي معدن البُرْم⁷⁶. ومن معدن رَضوى يؤخذ حجر المسن، وهو الحجر الذي ينحت ويستعمل في سن السكاكين، وأشبابها، ذكره ياقوت فيما نقله عن كتب الجغرافيين المتقدمين فقال: "من رَضوى يقطع حجر المسن ويحمل إلى الدنيا كلها"⁷⁷. وقد أشار أحد الباحثين إلى الأطباق التي تصنع من الخزف والفخار، وذكر أنها كانت

منتشرة صناعتها في المدينة⁷⁸. وأشار الذهبي كذلك أن صناع الفخار والمنحوتات الحجرية والخزفية كانوا يقومون بصنع تلك الأدوات أمام الناس⁷⁹.

كما انتشرت صناعة الزجاج بالمدينة والمناطق التابعة لها مثل ميناء الجار الواقع على البحر الأحمر جنوب غرب بدر الحالية، فقد استعملوا الزجاج في صنع بعض الأدوات المنزلية من أبرزها المصابيح وقوارير الماء وفي تزيين البيوت والمساجد والحمامات⁸⁰.

لقد صنع الصناع من الفخار والخزف الصحنون بأشكال والحجام مختلفة، وأكواب ومسارج، وأقداح، وكؤوس، وقوارير، ومباخر، وسلطانيات، والدوارق وأباريق وزهريات، والتحف الخزفية، ومن الآلات التي يستخدمها الفخارون في صناعتهم الدولاب والقوالب المختلفة لضغط الطين وصبه حسب الأشكال المطلوبة⁸¹.

وكانت بعض هذه الصناعات الفخارية والخزفية تطلّى بمختلف الألوان مثل الأزرق والأبيض والأخضر والفيروزي، والبنفسجي، فهذه الألوان أعطتها رواجًا في الأسواق وقبولاً من الناس، فبعضها كانت عليه رسوم نباتية وأشكال هندسية وكتابات تزيينه من الجوانب مثل الصحنون⁸². وبعضها كان يكتب عليها بعض العبارات أو الحكم أو الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، وبعضها استخدم في شواهد القبول مثل القيشاني الخزفي⁸³. فبرع الصناع في هذه الحرفة مما جعل لإنتاجهم أسواق رائجة في أسواق المدينة وغيرها.

خامسا : صناعة الحلي

والحلى اسم جامع لكل ما يتحلى به من مصنوعات المعدن أو الحجر سواء أكان كريماً نفيساً أو عادياً رخيصاً ويلبسه الإنسان -الرجل والمرأة- على أي جزء من جسمه للزينة أو التجميل منظوماً بخيط أو بدون خيط⁸⁴. وقد أظهرت الاكتشافات الأثرية، أن الإنسان قد لبس شكلاً من أشكال

الحلي عبر تاريخه الطويل، وهي حقيقة أن دلت على شيء فإنها تدل على رغبة عميقة متأصلة في النفس البشرية نحو التجميل والتزين وخاصة بين النساء. ولما جاء الإسلام لم يحرم على المرأة المسلمة التزين، ولكنه وضع لهذه الزينة حدوداً أهمها الاعتدال أو عدم التبرج، فاهتمت الشريعة الإسلامية بهذه الأمور، ولقد ورد لفظ الزينة في القرآن الكريم بمعاني متعددة⁸⁵. وتطورت صناعة الحلي وأدوات الزينة في المدينة في العصر العباسي لتواكب ما بلغته المراكز الحضارية الأخرى في الدولة الإسلامية من ازدهار في حياة ترف، وتطورت أساليب الصاغة بسبب تأثر حياة العرب بالحضارات الأخرى في مظاهر الزينة والرفاهية.

وتشير المصادر إلى ازدهار صناعة الحلي في المدينة النبوية في العصر العباسي لتوفر مقوماتها الضرورية من المواد الخام من الذهب والفضة والأحجار الكريمة، التي تستخرج من المعادن المتوفرة في ضواحي المدينة، مثل الأحسن وهو معدن ذهب، قال عنه الأصفهاني: "ومعدن الأحسن، معدن ذهب، معدن لبني كلاب وبينه وبين العيصان مسيرة ليلتين أو ثلاثاً، وهو من عمل المدينة"⁸⁶. كما ذكر ابن الفقيه وعده من أعمال المدينة⁸⁷. ومعدن أروى تستخرج منه الفضة وهو يقع شرق العقيق، ومعدن أيضاً بأرض بجران وهو من ناحية القُرُوع على مسيرة يومين من المدينة⁸⁸. ومن معادن الذهب الغزيرة معدن قَران المعروف بمعدن بني سليم، ومثله معدن الحُرَاضة الذي يقع شمال ينبع، وقد ذكره المقدسي بأن بين ينبع والمروة معادن كثيرة للذهب⁸⁹.

وفي جبل شيبان معدن يعرف بمعدن شيبان يقع بين البحر وقرية العوالي، وأشار له ياقوت بأنه جبل من وراء وادي القرى، وتكثر فيه معادن الفضة والذهب والصفير⁹⁰. وفي هذه الجهة أيضاً معدن يقال له معدن قَرع المسور، ويعرف أيضاً باسم معدن القَبَلية وهو يقع في طرف السلسلة الجبلية

الواقعة بين المدينة وينبع، وهو في الجهة المقابلة للمدينة⁹¹. ومن جهة خيبر يقع معدن المزبدة، فيما بين حرة خيبر والمدينة في الشمال الشرقي من المدينة، وبهذه الحرة أيضًا معدن البُورَق، وتعرف هذه الحرة بحرة النار⁹².

كما كانت مناجم الذهب تكثر في الأرض الممتدة من وادي الحمض إلى العقبة في شمال الجزيرة العربية، فتلك المناجم تحتوي على كنوز معدنية يتم استخراجها عن طريق صهرها في أفران ثم بيعها على الصاغة كمواد خام.

ومن المعادن التي تدخل في صناعة الحلي الزبرجد، ومنجمة في جزيرة بين العُويند والحُوراء⁹³، والزبرجد هو الزُّمرد، وهو ألوان منها الوردى والأحمر والأخضر، وذكر البكري أن أثمن أنواعه وأفضلها هو شديد الخضرة الصافي الجواهر⁹⁴. وفي حَرَّة النار يتوفر معدن الدهنج وهو حجر أخضر له عدة استخدامات منها ما يستخدم في صناعة الحلي⁹⁵.

وكانت تستورد بعض المعادن التي تستخدم في صناعة الحلي في المدينة مثل الجَزَع الظفاري، وهو خرز ثمين به ألوان بيضاء وسوداء⁹⁶. وكذا العقيق اليماني شديد الحمرة الذي يرى في وجهة شبه خيوط وهو أجود في الثمن، وأيضًا اللؤلؤ الذي يجلب من الخليج العربي أو جنوب الجزيرة العربية بناحية الشَّحَر⁹⁷.

لهذا اعتمدت صناعة الحلي في المدينة النبوية على معادن الذهب والفضة والجواهر والزمرّد وغيرها من أنواع الأحجار الكريمة⁹⁸. ويعمل في استخراج المعادن المهنيون من العرب وغيرهم من الأجناس الأخرى، كما هو الحال في معدن شمام الذي اشتهر بغزارة إنتاجه من الفضة والنحاس، فعمل به الوف من الفرس، لاستخراج المعادن منه وكان يطلق عليهم مجوس المعدن، وفي المعادن الأخرى كان معظم العمال من العبيد الذين يشتغلون في تلك المعادن على ملء بطونهم، وعلى مأوى متواضع غير فسيح، ويطلق عليهم لقب

القين أو القيون، لاشتغالهم بالصناعة عند أهل المدينة وغيرهم من العرب⁹⁹. وكان لتوفر خام الذهب والفضة والأحجار الكريمة بالقرب من المدينة وضواحيها أثر في نشاط حركة الصياغة والحلي، فقد أشار السمهودي نقلاً عن ابن زباله أن قرية زهرة إحدى قرى المدينة شهدت في العصر العباسي الأول، وجود نحو ثلاثمائة صائغ، كانوا يقومون بصياغة الحلي من الذهب والفضة¹⁰⁰.

وقد أشار الإمام مالك كثرة الصاغة الذين كانوا يزاولون صناعة المجوهرات الخاصة بحلي النساء في أسواق الحجاز بصفة عامة وفي المدينة بصفة خاصة¹⁰¹، فكانت صياغة الحلي وأدوات الزينة تشتهر بها المدينة لوفرة الصاغة المهرة الذين يعملون في صياغة أدوات الزينة من الذهب الفضة وغيرها من المعادن الأخرى، فكان أصحاب مصانع المجوهرات يستقطبون عمال الصاغة للعمل في مجال المشغولات المتنوعة من المجوهرات، مثل الأساور والدمالج والخلخال والخواتم وتحلية السيوف بالذهب¹⁰². ومثلها مقابض الخناجر، والأقراط، والعقود¹⁰³، وجميع ما يختص بالمجوهرات النسائية، ومما يؤكد وجود تنوع صناعة الحلي في المدينة، إجابة الإمام مالك على سؤال أحد السائلين عندما سأله "أرأيت أن دفعت إلى صائغ فضة لي ليصوغها فصاغها في سوارين، فقلت إنما أمرتك بخلخالين ... قال الإمام مالك القول قول الصائغ"¹⁰⁴.

ويتضح أن تنوع المصوغات والحلي عما كانت عليه فيما قبل العصر العباسي، نتيجة إلى كثرة تدفق الأموال، وانتشار ظاهرة التعرف إبان العصر العباسي، بشكل عام، والذي ألقى بظلاله على المدينة النبوية وغيرها من المدن الحجازية الأخرى، فكانت المرأة تتزين في هذا العصر بأنواع متعددة من الحلي، منها زينة الرأس والشعر، وأرتدت التيجان كحلي للرأس والعصائب والأطواق

التي كانت عبارة عن حلقة مستديرة تحيط بالرقبة، والأخروق وهو عبارة عن نوع من التيجان الصغيرة المصنوعة من الذهب، والأساور النحاسية، وغيرها من الحجارة الكريمة¹⁰⁵.

وكان الصاغة يبيعون منتجاتهم من المجوهرات والمشغولات التي يقومون بصياغتها وصنعها في سوق عرفت بهم، ويأتيهم الناس من أهل المدينة وغيرهم من الأماكن الأخرى لشراء ما يلزمهم من أدوات الزينة، وكان يرتاد سوق الصاغة الكثير من الحجاج والزوار الذين يشترون ما يحملونه معهم من المصنوعات والمشغولات الذهبية والفضية عند رجوعهم إلى أوطانهم، لأنها كانت مثيرة للإعجاب¹⁰⁶. وكان الصاغة يزاولون صناعتهم في الغالب في حوانيتهم بالسوق القريب من سوق العطارين والخياطين، والبعض الآخر كانوا يزاولون صناعة الحلبي في منازلهم¹⁰⁷. ومن أبرز الأدوات التي يستخدمونها في الصناعة الكبير، والمثقب، والكلبتان، والحملاج، والغراف، والجبأة، وغيرها من أدوات الصاغة الأخرى¹⁰⁸.

سادسا: الصناعة النسيجية

كانت صناعة النسيج من أهم الصناعات التي اشتهرت بها المدينة النبوية وقراها في العصر العباسي، وصناعة النسيج تقوم على الخامات الأولية التي تتوفر أو تجلب من الخارج مثل الصوف والوبر المتوفرة بكثرة لوفرة الحيوانات في المدينة وضواحيها، والحريز والقطن والكتان، التي تستورد من مصر والشام واليمن والهند والصين¹⁰⁹. فكانت هذه المواد الخام يتم معالجتها في مصانع النسيج في المدينة، على يد مجموعة من العمال المهرة وكان أغلبهم من الموالي، الذين يجلبون للعمل في هذه المهنة، ممن لديه دراية بصناعة النسيج على حسب اختلاف الأذواق، يؤكد ذلك ما ذكره ابن سعد بقوله: "إن معن بن عيسى ويكنى أبا يحيى مولى الأشجّع وكان يعالج القز بالمدينة ويشتهر به، وكان

له غلمان حاكّة. وكان يشتري ويلقي إليهم، توفي -بالمدينة سنة 198هـ- وكان ثقة كثير الحديث¹¹⁰. فهذه الرواية تشير إلى وجود حياكة المنسوجات بالمدينة ويعمل بها الرقيق، ممن لهم خبرة بحياكة ونسيج القز¹¹¹ خاصة الذي يستورد من بلاد الصين كمادة خام¹¹².

وكانت هذه الصنعة تزاوّل أيضاً من قبل النساء في أماكن مخصصة لهن أو في المنازل، فقد أفاد الإمام مالك أن الولائد في الحجاز يعملن في حياكة المنسوجات، مثل الریط¹¹³ للاستعمال المنزلي وبعضها تعرض للبيع في أسواق المدينة وغيرها من النواحي الأخرى فيقول: "الذي لا يجوز من ذلك إلى أجل الثوب بالثوبين من ضربة كالرايطة من نسج الولائد بالرايطين من نسج الولائد"¹¹⁴. ويدخل ضمن صناعة المنسوجات في المدينة حياكة بيوت الشعر التي كانت صناعتها منتشرة في الجزيرة العربية لاستعمالها من قبل أهل البادية الذين ألفوا الترحال، حسب توفر المراعي لمواشيهم¹¹⁵. وكان بعض الموالي يعملون لحساب الأغنياء في صناعة النسيج الذي تصنع منه الملابس والأكسية، فقد اشتهرت المدينة بإنتاج أنواع جيدة الصنع من الأردية والنسج والسيور وغيرها من أنواع الأثاث المصنوع من النسيج، ويقوم هؤلاء العمال بالعمل مقابل أجور معينة لقاء عملهم¹¹⁶ الذي يتميز بجودته العالية، ويتم تسويق تلك المنسوجات بنقلها إلى الأسواق داخل المدينة أو خارجها¹¹⁷.

وتمر صناعة المنسوجات وما يتبعها من أعمال بعدة مراحل أو خطوات التصنيع منها:

أ. القصارة أو قصر الخيوط:

وهذه العملية يتم فيها دق خيوط الحرير أو الصوف ثم طبخها، حيث تحتاج خيوط الصوف على الضرب والدق بالمقصورة وهي عبارة عن قطعة من الخشب تستعمل في دق القماش والخيوط، وعادة ما تكون من شجر

العُنب، والعُرنة وذلك لأنها لا تقدح نارًا عندما يستخدمها القصار في دق الخيوط والثياب¹¹⁸، وهذه الأشجار تتوفر في ظهير المدينة، فتصنع منها أبرز أدوات القسارة مثل المدقة، والقصرية التي تسهل عملية دق وضرب القماش على مختلف الأنواع، حتى يكون لين الملمس.

ب. الصبغة:

وهي صبغة خيوط الحرير ومواد القطن والصوف وبعض المنسوجات والملبوسات الأخرى، ومرحلة الصبغة تأتي بعد قصر الخيوط ودقها، وكانت الصبغة تعتمد في الغالب على ما يستخلص من مواد نباتية، مثل العُصفر والزعفران والوَرُس¹¹⁹، والمَشَق¹²⁰، لصيغ الملابس باللون الأصفر، كما استخلصوا اللون البرتقالي من نبات الحناء الذي تشتهر بكثرتة وحسن جودته المدينة ونواحيها، أما اللون الأحمر فيستخلص من بذور نبات الفُؤَّة. وهو يكثر نباته في شواطئ البحر، وله بذور حمراء تعرف بفؤة الصباغين، قال عنه الرازي: "عروق يصبغ بها الثياب"¹²¹. أما اللون الأزرق فيستخرج من ورق النيل¹²². كما استخدم القِرْمَز في صبغ بعض مشتقات الصوف والقطن باللون الأحمر الغامق¹²³. وكان عمال الصبغة يستخدمون ألوانًا متعددة لصبغة المنسوجات يؤكد ذلك بعض الأسئلة الفقهية الموجهة إلى الإمام مالك حول الأصباغ، حيث يقول السائل: "أرأيت إن دفعت إلى صباغ ثوبًا ليصبغه فقلت إنما أمرتك أن تصبغه أخضر فقال الصباغ: "إنما أمرتني بأسود أو بأحمر وقد صبغته كذلك..."¹²⁴. ويروى أبونعيم أن الليث بن سعد بعث عُصْفَرًا كثيرًا للإمام مالك، فقال: "لقد صبغنا به ثيابنا وثياب جيراننا وبعنا الفضلة بألف دينار"¹²⁵ فقد كان بعض السكان يصبغون ملابسهم في منازلهم ويستخدمون في ذلك صباغ العصفر، الذي يسألون عن جوازيتة من الناحية الفقهية، وقد أجازة الإمام مالك، يتبين للباحث من هذه الأسئلة شيوع استعمال الأصباغ

على مختلف الألوان في المدينة، لتعطي اللون الذي يوافق رغبات الناس، ويعطيها الرونق والجمال حيث تصبغ الخيوط بعد الغزل وقبل أن تنسج مثل العصائب¹²⁶.

وهناك إشارة إلى استخدام نوع من الطين يسمى المشق تصبغ به الملابس بعد إضافة الزعفران إليه ليعطيه اللون الأصفر¹²⁷.

ويرتبط بصناعة النسيج صناعة الأفرشة والأغطية، حيث دعت أحوال الناس على اختلاف إمكانياتهم المادية والاجتماعية إلى استعمال الفرش والأغطية التي صنعت من القماش الفاخر، وبتقنيات التطريز والحياسة التي توفر لها حرفيين مختصين في خياطتها من الصوف أو القطن أو الكتان، مثل القطائف والطنافس واللحف والمسند والوسائد بالإضافة إلى أنواع أخرى من الأغطية¹²⁸. وقد استعمل النساج بعض الأدوات منها، المنوال، والحف، والمغزل، والملاء والمنسج¹²⁹.

وبذلك لبت صناعة النسيج والحياسة حاجات المستهلكين في المدينة وفي غيرها من الجهات الأخرى، الذين مالوا إلى طلب تلك المنسوجات ولا سيما في جانبها الكمالي، والتي أبدع الحرفيون في صناعتها وإظهارها بالمظهر الحسن والمتألق في الصنع والحياسة والشكل، فقد كان إقبال الناس على شراء النسيج بأنواعه مستمرًا، سواء احتاجوا إليه أو لم يحتاجوا، لأنهم كانوا يدخرون الثياب الغالية، والفرش وغيرها من الأصناف الجيدة مثل الأقمشة الفاخرة.

وكان في المدينة سوق للبرزبياع فيه منتوجات النسيج، المصنعة في المدينة، أو ما يجلب من العراق، ومصر، والشام وغيرها من مختلف الأفاق، وكان يباع فيه أيضًا مواد الخام من الحرير والقطن والكتان، واشتهر بعض التجار الذين يزاولون بيع الأقمشة بالمدينة حتى أن بعضهم ينتسبون إلى نوع الأقمشة التي يتاجرون بها، مثل، محمد بن أحمد بن محمد بن عمر بن

روضان الحريري نسبة إلى كونه تاجر حرير، ومثله إسحاق بن جازم المدني البزاز، فكان هؤلاء الباعة يتاجرون في الحرير والقطن والكتان، وكانت تجارة هذه الأصناف رائجة في المدينة¹³⁰.

وكان في أسواق المدينة حوانيت للخياطين تعرف بسوق البزازين، ويعمل بها مجموعة من العمال أغلبهم من الموالي، الذين جلبوا معهم خبراتهم ويقومون بخياطة الثياب مقابل أجور معينة، لصالح الأغنياء، فتشير بعض المصادر أن الخليفة العباسي هارون الرشيد حينما قدم إلى المدينة سنة 170هـ/786م، احتاج إلى قطع من الثياب، فالتمس خياطاً حاذقاً، فدلوه على رجل يدعى أبو صدقة، والذي كان يوصف بالحدق ومهارة الخياطة¹³¹. وهو يؤكد على أن خياطة الملابس في المدينة كانت تحوز على إعجاب الولاة، والأثرياء. فكانت العمائم ذات اللون الأسود المذهبة من ضمن هداياهم ومقتنياتهم الشخصية¹³². حيث أنها تزين وتطرز بالأشكال الجمالية التي تخطط على أثواب القمصان وأغطية رؤوس النساء ونطاقات التي تكون أحزمه تتمنطق بها كذلك النساء، وبعض الملابس الفاخرة تخطط وتزين بالجداول والعقد التي تشبه الأرز، وهي في الغالب من خيوط الحرير لاستخدامها في ملابس النساء، فالنساء يملن إلى البحث عن الخياطين المهرة، لدفع الأثواب إليهم لخياطتها بتقنيات جيدة¹³³، مثل الجلباب والملاءة التي ترتديها المرأة فوق ملابسها، والبرنس وهو ثوب تلتحف به يشبه الجبة والدروع، وتعددت ألوانه، وتفننت النساء في تزيينه ليكون مختلفاً عن ما يلبسه الرجال¹³⁴.

الخاتمة:

رغم قلة المعلومات عن المدينة النبوية في مصادرنا المختلفة مقارنة بما كتب عن مكة المكرمة إلا أنني حاولت إلقاء الضوء على جانب شريحة هامة من شرائح الحياة الاقتصادية ألا وهي الصناعة، وهي تعكس بوضوح حيوية

المدينة.

وهكذا رأينا أن الصناعة في المدينة النبوية في العصر العباسي كانت نشيطة ومزدهرة ومقوماتها وأسسها متكاملة، حيث وجدت الأيدي العاملة الماهرة والأسواق المتعددة والمواد الخام المختلفة الأمر الذي أدى إلى ذلك الازدهار الذي عرفته شريحة الصناعة والتي عمل فيها قطاع واسع من سكان المدينة فعم الرخاء والاستقرار ربوع المدينة النبوية ذلك المكان المقدس الذي تهوى إليه قلوب المسلمين من كل حذب وصوب ومن مختلف الأمكنة والأزمنة.

الهوامش:

1. ابن حيان، خلف القرطبي (ت 469هـ/1076م)، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبدالرحمن الحجي، بيروت: لبنان، بدون تاريخ طبعة، ص20، 49.
2. المجليدي، محمد بن سعيد، التيسير في أحكام التسعير، تحقيق موسى إقبال، الجزائر، 1970م، ص83-93.
3. ابن فرحون، بدر الدين عبدالله بن محمد (ت 799هـ/197م)، نصيحة المشاور وتسلية المجاور، تحقيق علي عمر، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1427هـ/2006م، ص89 وما بعدها.
4. الفاكهي، أبو عبدالله محمد بن إسحاق (ت 272هـ/885م)، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثها، دراسة وتحقيق عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، مكة المكرمة: مكتبة الأسرى، 1424هـ/2003م، ج2، ص274-280.
5. الكتاني، محمد بن عبدالحج (ت 1382هـ/1962م)، نظام الحكومة النبوية المسمى بالتراتب الإدارية، مدينة فاس، 1346هـ/1927م، ج2، ص75؛ السيف، عبدالله محمد، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، الرياض: 1403هـ، 1403/1983م، ص156.
6. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله (ت 626هـ/1228م)، معجم

- البلدان، بيروت: دار الفكر، نشر دار صادر، (د.ت)، ج1، ص58، ج5، ص429؛ الفيروزآبادي، مجد الدين أبي الظاهر محمد بن يعقوب، (ت 817هـ/1415م)، المناغم المطابة في معالم طابة، تحقيق حمد الجاسر، الرياض: منشورات دار اليمامة، 1389هـ/1969م، ص158.
7. جميل حرب، الحجاز واليمن في العصر الأيوبي، ط1، المملكة العربية السعودية: تهامة، 1405هـ/1985م، ص120 وما بعدها.
8. السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 902هـ/1496م)، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، القاهرة: دار نشر الثقافة، 1399هـ/1979م، ج1، ص154.
9. البيروني، أبو حيان محمد بن أحمد (ت 440هـ/1048م)، الجماهر في معرفة الجواهر، حيدرآباد الدمن: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، 1355هـ/1936م، ص30؛ زكي حسن، الفنون الإسلامية، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1368هـ/1948م، ص30-31.
10. السويلم، ابتسام بنت عبد المحسن، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الحجاز من قيام الدولة العباسية حتى منتصف القرن الرابع الهجري، رسالة ماجستير، غير منشورة، مقدمة لجامعة الملك سعود، عام 1404هـ/1984م، ص80.
11. السخاوي، المصدر السابق، ج1، ص218.
12. الحربي، إبراهيم بن إسحاق (ت 285هـ/898م)، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالن الجزيرة، تحقيق حمد الجاسر، الرياض: منشورات دار اليمامة، 1389هـ/1969م، ص370.
13. الحسيني، ياسين بن أحمد ياسين، صور من الحياة الاجتماعية بالمدينة المنورة من بداية القرن الرابع الهجري وحتى العقد الثامن منه، ط1، دمشق: مؤسسة علوم القرآن، 1403هـ/1982م، ص189 وما بعدها.
14. السويلم، ابتسام، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الحجاز، ص82.
15. ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص234.
16. البكري، عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي (ت 487هـ/1094م)، معجم

- ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، بيروت: عالم الكتب، 1403هـ/1983م، ج3، ص1051؛ ياقوت، معجم ما استعجم، ج4، ص307 وانظر الجاسر، حمد، المعادن القديمة في بلاد العرب، الرياض: مجلة العرب، 1388هـ، ج10، ص926؛ والسيف، عبدالله، الصناعة في جزيرة العرب في العصر العباسي، ص343.
17. حرة بني سليم، تقع على بعد عشرة فراسخ شمال المدينة، اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت 274هـ/858م)، كتاب البلدان، ص151؛ ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص247-248.
18. ياقوت، المصدر السابق.
19. الإدريسي، محمد بن محمد بن إدريس (ت 560هـ/1164م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت: عالم الكتب، 1409هـ، ص .
20. مالكي، سليمان عبدالغني، بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف وحتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد، الرياض: 1403هـ/1983م، ص170.
21. كبريت، محمد بن عبدالله بن محمد (ت 1070هـ/1660م)، الجواهر الثمينة في محاسن المدينة، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 142هـ/2011م، ص17.
22. السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج3، ص276-277؛ ابن فرحون، نصيحة المشاور وتسليية المجاور، ص234؛ عطا علي محمد رية، الحرف والصناعات بالمدينة المنورة من خلال كتاب التحفة اللطيفة للسخاوي، أبحاث ندوة مصادر تاريخ المدينة المنورة، كرسي الأمير سلمان بن عبدالعزيز، لدراسات تاريخ المدينة بالجامعة الإسلامية، ج1، ص265.
23. ابن فرحون، نصيحة المشاور وتسليية المجاور، ص167.
24. ابن فرحون، نصيحة المشاور وتسليية المجاور، ص200.
25. المقدسي، محمد بن أحمد (ت 375هـ/985م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة خياط، بيروت: (د.ت)، ص98.
26. السويلم، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الحجاز، ص72.
27. الأنصاري، عبدالقدوس، بين التاريخ والآثار، بيروت: 1969م، ص30.
28. الحربي، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، ص389-394.

29. ابن زبالة، أخبار المدينة، ج 8، ص 109.
30. ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت 300هـ/893م)، المسالك والممالك، بيروت: 1889م، ص 114.
31. السمهودي نور الدين علي بن أحمد المصري (ت 911هـ/1505م)، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، حققه محمد معي الدين عبد الحميد، بيروت: دار إحياء التراث، 1393هـ/1973م، ج 2، ص 700.
32. الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد (ت 832هـ/1429م)، شفا الغرام بأخبار البلد الحرام، منشورات محمد علي بيضون، بيروت: دار الكتب العلمية، (د. ت)، ج 2، ص 427.
33. نسبة إلى الرقمتان وهو موضع قرب المدينة نهيان من إنهاء الحرة، ياقوت، معجم البلدان، ج 3، ص 58.
34. البكري، معجم ما استعجم، ج 1، ص 271.
35. السلي، عرام بن الأصبغ (ت في القرن الثالث الهجري)، أسماء جبال تهامة وسكانها، تحقيق محمد هارون، القاهرة: مطبعة أمين عبدالرحمن، 1373هـ، ص 17.
36. السمهودي، وفاء الوفاء، ج 2، ص 164-165.
37. جعفر الخليلي، موسوعة الثبات المقدسة، قسم المدينة، دار التعاون، بغداد، 1390هـ/1970م، ج 1، ص 77.
38. حمد الجاسر، رسائل في تاريخ المدينة، الرياض: 1399هـ، ص 63.
39. السمهودي، المصدر السابق، ج 2، ص 164-165.
40. أبونعيم الأصفهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت 430هـ/1038م)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1933م، 1938م، ج 3، ص 153؛ وانظر السيف، الصناعات في الجزيرة العربية في العصر العباسي، ص 339.
41. الأزرقي، محمد بن عبد الله بن أحمد (ت 250هـ/864م)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس، 1385هـ، ج 2، ص 84 وما بعدها؛ الحربي، المناسك، ص 354.

42. الحربي، المناسك، ص 389.
43. الأزرقي، أخبار مكة، ج 2، ص 60، 103؛ وانظر ابتسام السويلم، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الحجاز، ص 72.
44. فاروق عمر، دباغة الجلود وتجارتها عند العرب في مستهل الإسلام، الرياض: مجلة العرب، السنة 10، الجزء 7-8، محرم 1396هـ، ص 540.
45. سورة النحل، آية 80.
46. ابن فرحون، نصيحة المشاور وتسلية المجاور، ص 120.
47. ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت 458هـ/ 1065م)، المخصص، بيروت: دار الفكر، 1978م، ج 1، ص 108.
48. ياقوت، الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 79.
49. ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم (ت 711هـ/ 1311م)، لسان العرب، إعداد وتصنيف يوسف خياط، القاهرة: دار المعارف، د.ت، ج 2، ص 979.
50. الأُهب: هي الجلود، ابن منظور، لسان العرب، ج 3، ص 63.
51. ابن منظور، لسان العرب، ج 2، ص 433.
52. الفيوز آبادي، المغانم المطابة، ص 450.
53. ابن منظور، المغانم المطابة، ج 2، ص 602، ج 3، ص 580.
54. ابن دريد، أبوبكر محمد بن الحسن (ت 321هـ/ 933م)، الاشتقاق، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1378هـ/ 1958م، ص 450.
55. ابن المجاور، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب (ت 626هـ/ 1228م)، تاريخ المستبصر، تحقيق أوسكر الفجرين، ليدن: مطبعة بريل، 1951م، ص 14، 81.
56. الملك المظفر، يوسف بن عمر بن رسول، المخترع في فنون من الصنع، بيروت: دار الكتب العلمية، ص 193.
57. ابن منظور، لسان العرب، ج 3، ص 445.
58. الأشقي، للإسكافي، والجمع الأشافي وهو المخز: الرازي، محمد بن أبي بكر بن

- عبدالقادر (ت 666هـ/ 1268م)، مختار الصحاح، بيروت: المكتبة العصرية، 1417هـ/ 1996م، ص 69.
59. عرام، أسماء جبال تهامة وسكانها، ص 11-12؛ وانظر ابتسام السويلم، المرجع السابق، ص 77.
60. نصر، عبدالحليم، النبات الاقتصادي، القاهرة: 1962م، ص 172.
61. ابن سيدة، المخصص، ج 3، ص 209.
62. البغدادي، عبدالقادر عمر، خزانة الأدب ولب لسان العرب، بيروت: دار الكتب العلمية، 1988م، ج 1، ص 106.
63. ابن بكار، أبو عبد الله الزبير (ت 256هـ/ 869م)، جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق محمود شاكر، القاهرة: مطبعة المدني، 1381هـ، ج 1، ص 270.
64. ابن فرحون، نصيحة المشاور وتسلية المجاور، ص 588.
65. البلاذري أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت 279هـ/ 892م)، أنساب الأشراف، طبعة القاهرة: دار المعارف، 1959م، ص 59.
66. ابن فرحون، نصيحة المشاور وتسلية المجاور، ص 126-127.
67. ابن منظور، لسان العرب، ج 3، ص 626.
68. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت 356هـ/ 966م)، مقاتل الطالبين، شرح وتحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة: 1368هـ/ 1949م، ص 321.
69. ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت 300هـ/ 912م)، المسالك والممالك، ليدن: مطبعة بدل، 1967م، ص 153؛ ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي (ت 367هـ/ 977م)، صورة الأرض، ليدن: مطبعة برل، 1937م، ص 43.
70. عطا علي محمد رية، الحرف والصناعات، ص 277.
71. الشماعد، جمع شمعدان، وهو منارة تزين ويركز عليها الشمع حين الإضاءة، الجوهرى، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت 393هـ/ 1022م)، الصحاح، القاهرة: مطبعة دار الكتاب العربي، 1376-1377هـ، مادة شمع، ص 571.
72. السهمودي، وفا الوفاء، ج 5، ص 204؛ وانظر حسنين محمد ربيع، وثائق الجنييزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادي بموانئ الحجاز واليمن في

- العصور الوسطى، الندوة الأولى لمصادر تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الرياض: 1977م، ص36، 139، مالكي، بلاد الحجاز، ص104.
73. الدورق، هو عبارة عن صرة ذات عروة، ويستخدم كذلك مكيالاً للسوائل، الفيروزآبادي، القاموس المحيط، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، 1415هـ/ 1995م، ص794.
74. الثنيان، محمد بن عبدالرحمن راشد، ألفاظ المصنوعات الفخارية والخزفية في الحضارة الإسلامية، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، العدد 8، 1424هـ/ 2003م، ص114-115.
75. الهمداني، صنعة جزيرة العرب، ص355.
76. ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص213-214.
77. ورَضْوَى: هو جبل بالمدينة، وهو من ينبع على مسيرة يوم ومن المدينة على سبع مراحل. ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص51.
78. الأنصاري، عبدالقدوس، بين التاريخ والآثار، ص29.
79. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/ 1056م)، تاريخ الإسلام، وطبقات المشاهير والأعلام، القاهرة: 1367هـ، ج1، ص170.
80. السويلم، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الحجاز، ص83.
81. السمهودي، وفاء الوفاء، ج5، ص204.
82. عبدالرؤوف علي يوسف، دراسات في الفن الفارسي، دار التأليف والنشر، 1970م، ص83.
83. زكي حسن، الفنون، ص203.
84. الرازي، مختار الصحاح، ص8؛ ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص73.
85. سورة البقرة الآية 212، سورة آل عمران الآية 14، سورة طه الآية 87، سورة يونس الآية 88، سورة الكهف الآية 46، سورة القصص الآية 79.
86. الأصفهاني، الحسن بن عبدالله (ت القرن الثالث الهجري)، بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسم، الدكتور صالح العلي، الرياض: منشورات دار اليمامة، 1388هـ/ 1967م، ص383.
87. ابن الفقيه، مختصر البلدان، ص26.

88. ياقوت، معجم البلدان، ج 1، ص 341.
89. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 101.
90. ياقوت، معجم البلدان، ص .
91. الجاسر، المعادن، ص 926.
92. ياقوت، معجم البلدان، ج 2، ص 248.
93. الحَوَراء هي مرفأ سُفُن مصر إلى المدينة على ساحل الحجاز، ياقوت، معجم البلدان، ج 2، ص 316؛ وقال عنها البكري: فُرْضة من فُرْض البحر تُلْقَاء ينبع، ترفأ إليها السفن من مصر، معجم ما استعجم، ج 3، ص 474.
94. البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز (ت 487هـ/1094م)، جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبدالله الغنيم، الكويت: ذات السلاسل للنشر، 1397هـ/1977م، ص 124.
95. ابن شبه، أبوزيد عمر بن شبه (ت 262هـ/875م)، كتاب تاريخ المدينة المنورة، تحقيق فهد محمد شلتوت، جدة: عالم النشر، 1399هـ، ج 2، ص 224؛ وانظر حمد الجاسر، المعادن، ص 427.
96. المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 93.
97. البكري، جزيرة العرب، ص 123-124.
98. المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 157.
99. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص 149؛ وانظر حمد الجاسر، المعادن، ص 917.
100. السمهودي، وفاء الوفاء، ج 2، ص 312، ج 3، ص 248-249.
101. الإمام مالك، المدونة، ج 4، ص 391-392.
102. ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي (ت 597هـ/1200م)، صفة الصفوة، حيدرآباد: 1355هـ، ج 2، ص 61.
103. المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 101، 157؛ الأصفهاني، الأغاني، ج 17، ص 45-46.
104. الإمام مالك، المدونة، ج 3، ص 378؛ ولزيادة المعلومات، انظر السيف، الصناعة في الجزيرة العربية في العصر العباسي، ص 330.

105. ابن جبير، محمد الكنانى الأندلسى (ت 614هـ/ 1217م)، رحلة ابن جبير، بيروت: دار صادر، 1384هـ/ 1964م، ص 180؛ بريتون، ريتشارد، رحلة بريتون إلى مصر والحجاز، ترجمة وتعليق عبدالرحمن عبدالله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995م، ج 2، ص 219.
106. ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 114.
107. السمهودي، وفاء الوفاء، ج 4، ص 736.
108. الألوسي، بلوغ الأرب، ج 3، ص 440.
109. البكري، معجم ما استعجم، ج 2، ص 355؛ ابن فرحون، نصيحة المشاور، ص 110.
110. ابن سعد، الطبقات، ج 2، ص 197؛ وانظر لزيادة المعلومات، السيف، الصناعة في الجزيرة العربية في العصر العباسي، ص 332.
111. القزّ: هو ما تنتجه دودة القز، فيسمى قزّاً، ثم يغزل ويسمى بعد غزله إبريسم "الحريز"، الرازي، مختار الصحاح، ص 253، ابن منظور، لسان العرب، ج 2، ص 82.
112. المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 6.
113. الرّيطة، هي الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفّقين، وقيل الرّيطة الملاءة غير ذات لفّقين كلها نسج واحد، ولا تكون الرّيطة إلا بيضاء، ابن منظور، لسان العرب، ج 1، ص 1267.
114. الإمام مالك، المدونة، ج 3، ص 192.
115. السيف، الصناعة في الجزيرة العربية في العصر العباسي، ص 333.
116. المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 78.
117. الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص 321.
118. ابن جبير، الرحلة، ص 115؛ الفيروزآبادي، المغانم المطابة، ص 261.
119. الوُرس: هونبات يكثر في اليمن وتستخرج منه عصارة صفراء لصبغ الملابس باللون الأصفر، الرازي، مختار الصحاح، ص 336.
120. نوع من الطين تصبغ به الثياب، ابن فرحون، نصيحة المشاور وتسليّة المجاور، ج 1، ص 92.

121. الرازي، مختار الصحاح، ص 245.
122. يوسف خياط، معجم المصطلحات العلمية والفنية، بيروت: لبنان: دار لسان العرب، بدون تاريخ طبعة، ص 194.
123. ذكرابن منظور بأن القِرْمَز صَبَغٌ أحمر يقال إنه من عُصارة دود يسمى قرمز، يكون الصبغ في أجامها، لسان العرب، ج 2، ص 72.
124. الإمام مالك، المدونة، ج 3، ص 378؛ السيف، الصناعات في الجزيرة العربية في العصر العباسي، ص 335.
125. أبونعيم، احمد بن عبدالله الأصمهاني (ت 430هـ/1038م)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، بيروت: دار الكتاب العربي، 1400هـ/1980م، ج 7، ص 319؛ ولزيادة المعلومات، السيف، الصناعات في الجزيرة العربية في العصر العباسي، ص 335.
126. السيف، الصناعات في الجزيرة العربية في العصر العباسي، ص 331.
127. ابن فرحون، نصيحة المشاور وتسلية المجاور، ج 1، ص 92.
128. الأصمهاني، الأغاني، ج 5، ص 114؛ السيف، المرجع السابق، ص 334.
129. ابن سيدة، المخصص، ج 3، ص 209؛ السويلم، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الحجاز، ص 68.
130. عطا علي محمد رية، الحرف والصناعات بالمدينة المنورة من خلال كتاب التحفة اللطيفة للسخاوي، ص 263.
131. الأصمهاني، الأغاني، ج 17، ص 298.
132. الإمام مالك، المدونة، ج 2، ص 254؛ العبيدي، صلاح الدين، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي الثاني، بغداد: دار الرشيد للنشر، 1976م، ص 243.
133. ابن سيدة، المخصص، ج 4، ص 84؛ وانظر الشيباني، بدرية بنت مفلح، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في المدينة النبوية في عصر الإمارة الحسينية، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة لقسم التاريخ، جامعة الملك سعود، 1431هـ/2010م، ص 104-105.
134. الحربي، المناسك، ص 335.